اول متحفٍ للهوام والحشرات إنشاؤها غربي

لحضرة مكاتبنا الفاضل الاب انستاس الكرملي البغدادي

كثيرًا ما يتصوَّر ابن آدم من ابنـاء هذا العصر ان المحدثين قد احدثوا امورًا لم تعنَّ على خاطر من تقدَّمهم ولم تدُر في خلَدهم . وانما توصلوا الى ما توصلوا اليهِ بكثرة الجدّ والجهد . واغلب ملام كلامهِ هذا يوجههُ الى العرَب وابنائهم ويعنّفهم على كونهم اهملوا امورًا جمَّة كانوا انتفعوا منها اجزل النفع لو اتوها . ومن ذلك دُورُ التُحَف

قبل ان نتصدَّى لهذا البحث لا بُدَّ لنا من ان نذكر بعض كُلَيمات تكون بمنزلة المقدمة فنقول :

ليس للعرب لفظة تدلُّ على ما يُراد بلفظة «موسيون او موزة» عند محدثي الافرنج الذين يَعنُون بهِ : « مجموعًا عظيمًا جامعًا لانواع النوادر والغرائب والطُرَف الراجعة الى الصنائع والعلوم والفنون والمهَن » والسبب ان هذا اللفظ بهذا المعنى حديث الوضع في بلاد الافرنج فلا غرو اذا كان مجهولًا عند العرب . والَّا فاذا اخذنا لفظة موسيون بالمعنى الذي اخذهُ قدماء اليونان فان العرب قد عرفوهُ شيئًا من المعرفة . « فالموسيُون عندهم او الموسيوم على الطريقة الرومانية او الموسة والموزة على الطريقة الفرنسية » لايدلّ فقط على الهيكل المُرصد لآلهة الشعر والغناء المسمَّاة عندهم « مُوسة » او « موسيون» كموسيون آثيناس وسَسيلياس بل يدل ايضًا على كل بناء يُعنى فيهِ بالآداب اللغويَّة والعلوم والفنون تحت انظار آلهة الشعر والغناء . مثال ذلك مُوسيُون الاسكندريَّة وهو اشهر هذا النوع في العالم . وكان اول من انشأهُ بطلماوس سوطير اي المخلص فانهُ اقام مدرسةً للفلسفة والعلوم والفنون والآداب في مدينة الاسكندريَّة سنة ٢٢٨ قبل المسيح وفعل مثل هذا الفعل في قصرهِ الذي كان يحتشد فيهِ اعضاء هذا الجمع العلمي فبهذا المعنى قد اقام العرب الاسواق وكان يجري فيها ما كان يجري في الموسيون . والاسواق عندهم كثيرة لشهر سوق عكاظ (اطلب المشرق ١ : ٨٦٥)

اما الافرنج فالفرنساويون منهم خصوا لفظة موزة (Musée) بما يتعلَّق بالعلوم والفنون . ولفظة موزيوم (Museum) بما يتعلَّق بالمخلوقات الطبيعيَّة من الرواسب الثلاثة

اما العرب وابناؤهم من المتأخرين لمَّا ظنُّوا ان الاقدمين منهم لم يعرفوا شيئًا مما

احدثهُ الافرنج في هذه القرون المتأخرة جزموا ان الاولين منهم لم يستطيعوا ان يجعلوا الفاظاً لشيء مجهول فاصطلحوا لهذه الغاية على الفاظ تؤدي هذا المؤدَّى نفسهُ .

فنهم من سمّاهُ « متحفاً » بفتح الميم وهو غلط لان اسم المكان اذا بُني من الرباعي يُضمّ اوّلهُ إذ لا يوجد فعل تحفَ بل أتحف . فكان يجب اذن ان يقولوا « مُتحَفاً » بضم الميم لا بفتحها . ومع ذلك فالمعنى واقف راكد لا يجري مساء معناهُ ولا يتسلسل تسلسل اللفظة الافرنجيَّة لان معنى اتحفتهُ اطرفتهُ بطُرفة وعليهِ فيكون المعنى « المكان الذي يُتحف لهُ او يُتحف فيهِ » وفيهِ من التكلُّف والتعسُّف ما فيهِ . والبعض قالوا : « دار تُحف » وهو اوفى بالمقصود وادلُّ على المعنى واصوبُ للاصطلاح من جهة اللغة وقواعدها . الّا ان غاية الذين يقولون « متحفاً » هربهم من لفظتين والحق بيدهم . فاذا كانت هذه هي نيتهم فالاجدر بهم ان يتخذوا لفظة أخرى هي « المتحفة » لان صيغة المفعلة تدل على المكان الذي يكثر فيهِ الشيء فيقال : المبطخة والمأسدة والمسبعة الخ ومن ثمَّ فيقال المتحفة للمكان الذي يكثر ويجمع فيهِ التحف والطُرَف والنوادر والغرائب . فاحفظهُ

اما ان المحدثين من العرب يتصوَّرون ان الاقدمين منهم لم يعرفوا شيئاً من هذا القبيل فهم يهيمون في وادي تضلُّل . بل من المؤكد المثبت الذي يؤيدهُ شواهد التاريخ ان اول من انشأ هذا النوع من المتاحف عربيٌّ قُحّ . وذلك في القرن العاشر او اواخر القرن التاسع للمسيح مع ان هذا النوع من انواع المتاحف الحيوانيَّة والنباتيَّة والحشريَّة لم يُعرف في بلاد الافرنج قبل ثلاثة قرون . فليفتخر اذن العرب لكونهم سبقوا الافرنج في هذا الميدان كما سبقوهم في امور أخرى لا محل لذكرها هنا . وعليهِ فنقول :

اول دار تُحفٍ للحشرات والدويبات في العالم

ان اوّل دار تحف أُنشئت للهوامّ والحشرات ونحوها في العالم العلميّ هي التي انشأها واحد من ابناء العرب اسمهُ « ابو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد ابن موسى بن الحسن بن الفرات المشهور بابن حنزابة الوزير المحدّث البغدادي نزيل مصر » . وهو الذي وُزّر ابوهُ للمقتدر في السنة التي قُتل فيها وتقلَّد ابو الفضل وزارة كافور الاخشيدي بمصر المتوفى سنة ٩٦٦ م . قال الشريف محمّد بن اسعد الجواني المعروف بالنحوي : « كان الوزير يهوى النظر الى الحشرات من الافاعي والحيّات والعقارب

وام اربع واربعين وما شاكل ذلك . وكان في داره التي تقابل دار الحكمة قاعة لطيفة مُرخمة فيها تلك الحيات . ولها قيم وفرّاش وحاوٍ يستخدمونها برسم نقل تلك الحيّات وحطّها . وكان كل حاوٍ بمصر يصيد ما يقدر عليه من الحيّات ويتباهون في ذوات العجيب من اجناسها وفي الكبار وفي الغريب منها وكان يُثيبهم على ذلك اجلّ الثواب ويبذل لهم الجزيل حتى يجتهدوا في تحصيلها . وكان لهُ وقت يجلس فيه على دكّة مرتفعة ويدخل المستخدمون والحواة فيخرجون ما في تلك السلال ويطرحونهُ على ذلك الرخام ويحرّشون بين الهوام وهو يستعجب من ذلك ويستحسنهُ . فلمّا كان ذات يوم انفذ خلف ابن المدبّر الكاتب وكان من كتاب أيامه ودولته وهو عزيز عنده ويسكن جواره يقول لهُ في رقعة انهُ : « لمّا كان البارحة وعرض علينا الحيّات والحشرات الجاري بها العادات انساب منها الحيّة البتراء (١ وذات القرنين الكبرى (٢ والعقربان (٣ الكبير وابو صوفة (٤ وما حصّلناها الّا بعد عناء طويل وبعد مشقّة وجمعة بذلناها للحوّاة ونحن نأمر الشيخ رفقهُ الله تعالى بالتوقيع الى حاشيته بصون ما وُجد منها الى ان ينفذ الحواة بردّها الى سلالها » . فلمّا وقف ابن المدبر عليها قلب الرقعة وكتب : « اتاني امر سيدنا الوزير ادام الله تعالى نعمتهُ وحرس مدّتهُ بما اشار اليه من امر الحشرات والذي أعتمد عليه في ذلك ان الطلاق يلزمني ثلاثة إن آتى انا وأحد من اولادي في الدار . والسلام »

كان مولد ابي الفضل ابن حنزابة في ذي الحجّة سنة ٣٠٨ هـ — ٩٢٠م وتوفي بمصر في ١٣ صفر وقيل في ربيع الاوّل سنة ٣٩١ هـ — ١٠٠٠ م ودُفن بالقرافة الصغرى

---

١) الحيّة البتراء او الابتر هي التي يسميها العلماء « elaps »

٢) ذات القرنين او القرناء هي الحيّة المعروفة عند العلماء باسم « vipera cerastes »

٣) العُقربان هو ذكر العقارب والمراد به هنا « scorpio occitanus »

٤) ابو صوفة نوع من الرتيلاء يكون غالبًا في الارياف يضرب لونهُ الى الحمرة لهُ زغبٌ ومنهُ اسمهُ عند اهل مصر ولهُ في رأسهِ اربع إبر ينهش بها وتسمّيهُ تقرب من لسع العقرب وهو لا ينسج بل يحفر بيتهُ في الارض ويخرج بالليل كسائر الهوام (عن الجاحظ والقزويني والدميري في مادة عنكبوت ورتيلاء واللفظة لا توجد في المعاجم اللغويّة) واسمهُ بلغة العلماء (lycosa) ومعناهُ الذئب لشدّة ضريهِ وشرّهِ . وعرّبهُ البعض فسمّوهُ : « ابو ليفة » تعريبًا للفظة الافرنجيّة مباشرةً وادّعوا ان اسمهُ عربيّ النجار وان الافرنج اخذوهُ عن العرب لان « الليفة » : الصوفة صوفة الدواة فتوهم الافرنج انهُ من λύκος اي الذئب وتعملوا لهُ التفاسير والتآويل